إِرشَادُ الحَــــــائِرِ

بِتَصدِيقِ شَهَـــــادَةِ الزَّائِرِ

"تأكيد شهادة بن خالد في زيارته لدعاة التبليغ"

كتبه

د /أبوإلياس طه بن إبراهيم القلموشي المصري

سدده الله تعالى وعامله بعفوه ولطفه وكتب أجره وذكره

تقديم :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبربوبيته وقيوميته تقوم الأرض والسماوات، وبحمده تُسبّح جميع الكائنات وبألوهيته تشهد المخلوقات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، صلاة وسلاما على الهادي البشير والسراج المنير، محمد بن عبد الله الرسول الأمين ، المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمر الله تعالى باتباعه ، وشر الأمور محدثاتها وهي كل ما كان على خلاف سنته وهديه وطريقته ومنهاجه ، وكل محدثة من هذا القبيل بدعة، وكل بدعة ردٌّ وضلالة وكل ضلالة في النار. وبعد:

أيها المسلمون الكرام! إن الليالي والأيام مليئة بالأحداث الجسام التي تغير أحوال اناس وتقلب حياتهم ، فتفتنهم في دينهم ، فتجتالهم عن ملتهم ، وقد صح عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» [1]

فقد كتب أحد الخبثاء مقالا على واجهة منتدى الملتقى العلمي المسمى (الألوكة) عن أهل التبليغ والدعوة ضمنه كذبات تناقلها وتلفيقات تلقفها من أشياخه دعاة السوء مبدعة العلماء ، مفسقة العامة أتباع المناهج الدعوية الأخرى ، زاعما أنه يحذر من أهل التبليغ وبدعتهم ، فنقل مقالا كتبه علي بن يحيى الحدادي لا بارك الله فيه : (جماعة التبليغ خطر يهدد وحدة المجتمع - فاحذروا ياعباد الله -) وهذه شبهة من شبهات المداخلة سبابة العلماء رددنا عليها في كتابنا (كشف الأستار وتبرئة الدعاة الأخيار) فانظرها كاملة بارك الله فيك .

وليعلم أنه العقبات في طريق الدعوة إلى الله عز وجل كثيرة ، وهي من حكمة الله سبحانه وتعالى البالغة، ومن سنته الماضية أن يبتلي أهل الإيمان بأنواع الابتلاءات والمحن التي يمحص بها عباده فيتميز بها بين الخبيث والطيب ، فما يراه الناس بأعينهم قد علمه سبحانه وتعالى أزلاً وغيبا وقدره،

---

[1] رواه مسلم (118)، في الإيمان.

لكنه سبحانه وتعالى قدر وجود الابتلاءات والمحن والعقبات لكي يظهر للناس صفات أهل الحق وأهل الباطل، ولتستبين سبيل المجرمين، وليهدي الله عز وجل من شاء إلى صراط مستقيم، وإلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه ، فكل ما كان من معوقات في طريق الدعوة من قدرالله تعالى علينا ، تمحيصا للاختبار والامتحان .

فشارك أحد أعضاء الملتقى العلمي الكرام واسمه المكتوب (ابن خالد) [2] مشاركة طيبة حكى فيها ما رآه بعينه وما سمعه بأذنه وما فعله بنفسه ليستوثق من خبر القوم ويتثبت من حالهم ويعرف حقيقة ما ينسب إليهم ! لا كما يفعل الأتباع من الهمج الرعاع الذين يسلمون أعينهم وآذانهم وقلوبهم لشيوخ ضلال يفتونهم بفتاوى ضالة فيصدقونها ولا يعملون عقولهم ولا يكلفون أنفسهم البحث عن الحقيقة وعن موافقة كلام هؤلاء المعممين للدين والسنة ومخالفته ! فذهب الأخ الكريم بن خالد بنفسه واستوثق من القوم وجالسهم وسمع منهم وسألهم ، ثم بعد ذلك حكى ما رآه ، وهذا مثال طيب يجب أن يحتذى به ، وهو مأمور به في شرعنا الحنيف حيث قال الله تعالى {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [3] وقال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } [4] ، وهو أيضا من سنة السلف (فمن لم يكن رحلة لن يكون رحلة. أي فمن لم يرحل بنفسه في طلب العلم والاستفسار عن المسائل والتثبت من نسبة الكلام لأهله وللبحث عن الشيوخ والعلماء ، والسياحة في الأخذ والتحمل عنهم ، فيبعد تأهله مستقبلا ليرحل إليه؛ لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم، لديهم من التحريرات للمسائل والضبط لها والنكات العلمية من خلال تجاربهم وحياتهم ورحلاتهم

---

[2] وذلك بتاريخ 04 - Sep-2008, مساء 01:40 .

[3] [النساء: 94]

[4] [الحجرات: 6]

وأسفارهم والتجارب الشخصية ، ما يعز الوقوف عليه من كل أحد أو على نظائره في بطون الأسفار) [5] فما فعله الأخ بن خالد جزاه الله خيرا من هذا الباب حيث رحل واسمع وشاهد وصار بهذا شاهد حق على القوم ، يقبل قوله ويستشهد به ، وها أنا ذا أقرر كلامه وأصوب ما وقع فيه من هنات وأشيد بما قاله من صواب ليعلم الناس أن الرجل ما كذب فيما قال ولا افترى فيما نقل ولا غير فيما شاهد بل كان شاهدا بحق ، يذب عن أعراض إخوانه المسلمين من غير أن يطلب منه دفاع ولا شهادة ، وكما أن شهادة الزور كبيرة من الكبائر (دَلَّتْ آيَاتٌ صَرِيحَةٌ عَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ " ، وَقَوْلُهُ: "وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ " .
وفِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ فِي وَصْفِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ فِي قَوْلِهِ: "وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ " . وَفِي الْحَدِيثِ مِنْ عِظَمِ جُرْمِ شَهَادَةِ الزُّورِ، وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ " أَلَا وَشَهَادَةَ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةَ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ ".) [6] فقد ورد الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مدح من يشهد بالحق ويصرح به وجعل من يأتي بالشهادة من غير أن يلطب لها في أعلى الدرجات فقال «خَيْرُ الشُّهُودِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا» ، فجزاه الله تعالى خيرا على فعله .

---

[5] الكرام دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية (17/ 4، بترقيم الشاملة آليا) بتصرف . المؤلف: عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي
[6] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 296) بتصرف المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)

شهادة بن خالد من واقع ما رأى :

قال ابن خالد: (بسم الله الرحمن الرحيم ، لست من جماعة التبليغ ، لكني سمعت عن خطرهم فأردت الحكم بنفسي، فطلبت من أخ حبيب كبير في السن أن يأخذني إليهم للإنصاف ، فلما ذهبت إليهم ويشهد الله على ذلك ما رأيت منهم إلا كل خير ، لا يتكلمون في أحد ولا يغتابون حاكم أو محكوم .. ولا يتحدثون في سياسة، كل عملهم الدعوة إلى الله ، نعم هناك أمور تستغرب منها كتحديد ثلاثة أيام، وينكرون عليهم (مع العلم أن هذا للترتيب ليس إلا) وأقول ، من الذي سمح بوضع وقت محدد للإقامه ، بمعنى من الذي جعل بين الأذان والإقامه لصلاة العصر مثلا 20 دقيقه ، أليست هذه من (البدع) في نظري -القاصر- هذا لترتيب فحسب وقس على ذلك مكبرات الصوت وتأخير أذان العشاء في رمضان (في السعوديه) ، نعم هناك شركيات وخرافات، لكنها ليست من الجماعه التي في بلاد الحرمين، ستجدها في باكستان والهند وغيرها ، بل ستجد كثير ممن ينسب للعلم .. كـ د. عبدالله المطلق عضو هيئة كبار العلماء، ود. زيد الزيد عميد المعهد العالي للقضاء في جامعة الامام وغيرهم ، تجد أنهم يثنون عليهم ويرحبون بزيارتهم ، وقضية أنهم لايهتمون بالعلم الشرعي ، فهذا نوعا ما صحيح ، لكني وجدت منهم طالب العلم الذي يحضر دروس د. صالح الفوزان، ووجدت منهم القاضي في المحكمه ، اما قضية الخروج على ولاة الأمر فحدث ولا حرج من اتهام التبليغ (الأحباب) بأنهم يدعون إليه ويأمرون به وهذا قمة الجهل والعمى عن مراد هؤلاء ، فإني ويشهد الله على ذلك سمعت بأذني يمدحون ويثنون على الأمير ويباركون في أفعاله ، لا أقول أنهم يمدحون امام أناس غير التبليغ بل بين بعضهم البعض ، وأكرر ما أقول قد ذهبت إليهم عدة مرات ولم أجد إلا كل خير ، نعم هناك مآخذ كثيرهـ عليهم لكنها لا تعد من تلك الأمور التي تتصف بها تلك الجماعة التي همها وشغلها الشاغل الطعن في العالم الذي تكون له شهره بين الناس ويتتبعون عثراته ، ولا أظنك لم تعرف هذه الجماعه ، (اللبيب بالإشارة يفهم) ولولا الغيبه لذكرتك بمشائخ هؤلاء ، ثم إني أتعجب من هؤلاء الذين يفنون أقلامهم في التحذير من التبليغ وفي المقابل لم نسمع أو نقرأ منه التحذير من الحرب الصليبيه التي تقوم بها فرعون العصر أمريكا .. ولا يتحدثون عن المحن التي يتعرض لها إخواننا في فلسطين والعراق وغيرهـ .. بل لم نسمع لهم صوت في التحذير من أهل الباطل كالروافض بجميع طوائفهم ومن مخططاتهم ، بل إني سمعت كلاما من الشيخ العلامه بن جبرين- حفظه الله - بنفسه يثني على

التبليغ (في السعوديه) فالإنصاف الإنصاف و العدل العدل فلا يقارن التبليغ في السعوديه بالتبليغ في باكستان والهند.

وأنا أنصح ممدوح وغيره ممن يتكلمون في التبليغ الموجودين في السعوديه أن يأتوا إليهم ويجالسونهم ويسمعون كلامهم ويناقشونهم قبل الحكم عليهم بأقوال آخرين .. ثم يحكمون عليهم بما رأوه. والله من وراء القصد.) انتهى .

اتقاء شر الجاهلين بنفي شبهة ليست بشبهه:

فقوله : (**لست من جماعة التبليغ**) شهادة منه على نفسه وللناس بأنه ليس من دعاة التبليغ وغير منتظم في عملهم ولا منخرط فيه ، فلماذا قال بن خالد هذا ؟ أظن أنه قال ذلك محاولة منه للهرب من سهام المجرحة ! الذين لم ينج من سم ألسنتهم عالم ولا داعية ولا مصلح ! وكذلك محاولة منه أيضا للبعد عن الشبهة في كونه يشهد لهم بخير فإن كان منهم فإن شهادته قد تكون – إن لم تكن بالتأكيد – عند القوم مجروحة مردودة ! وشخصه عرضة للجرح على كل حال وليس في هذا المقام فحسب ، ومحاولة منه أيضا لإثبات الحيادية التامة في موقفه ! وكل هذا لا حرج فيه ولا بأس به ، فالمسلم مطالب برفع الشبهة عن نفسه إن كان في موضع شبهة ودفع الالتباس عن شخصه أو موقفه إن كان في موضع اللتباس ! والصمت في هذا الموقف قد يكون له عواقب سيئة .

ثم ماذا لو كان الشاهد جزاه الله خيرا من أهل التبليغ فعلا ومحب لهم ثم صرح بهذا ونطق به علانية على رؤوس الأشهاد متفاخرا بأنه من أهل التبليغ وأنه من المتحركين لنشر دين الله تعالى في مشارق الأرض ومغاربها وأنه يصلي الفرائض في جماعة ويحافظ على السنن الراتبة وغير الراتبة ويحافظ على الهدي الظاهر كما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلفه الصالح ويتسنن في كل أحواله بسنن المصطفى صلى الله عليه وسلم ويسير على منهاجه في بيته فلا مخالفات شرعية تحدث في بيته ولا معاصي تحصل في أهله ، بل وزوجته وصبيانه وبناته يجتمعن في البيت في حلقات التعليم كل يوم يسمعوا جميعا كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة الكرام ليتعلموا منها ويتأثروا بها ويضبطوا حياتهم وأحوالهم لتكون نسخة ثانية مما يسمعوا ويقرؤا في السنة وحياة النبي وأصحابه وليبتعدوا كل البعد عن كل مخالفة أو

بدعة محدثة؟! هل هذا يضيره أو يقلل من شأنه ؟! هل هذا أمر يدعوا للسكوت وتغطية الرؤوس ؟! أم أنه أمر يدعوا للفخر والعزة ورفع الرأس ودعوة الناس أن هلموا إلى اسمعوا مني وافعلوا مثلي ؟! حقا والله إن هذه الحياة جديرة بأن تكون نبراسا لمن حول من كان هذا حاله وتلك حياته ! وأشهد الله تعالى أنني فرح من هؤلاء الدعاة وبهذا أفتخر وأعلنها صراحة أمام العالمين ليعرف الناس من هم أهل التبليغ والدعوة ،فاللهم تقبل .

التثبت من الأخبار :

وقوله : (**لكني سمعت عن خطرهم فأردت الحكم بنفسي**) فتبين للدافع لكتابته تعليقه وتوضيح لما جعله يبحث في الأمر ، وهذا من نبل نفسه جزاه الله خيرا ، إذ لم يكن كغيره من الهمج الرعاع الذين يصدقون كلام شيوخهم من غير مراجعة ولا تفكير ولا محاكمة أقوالهم لكتاب ولا لسنة ولا البحث عن صحة كلامهم وصدق زعمهم ! فقام الرجل بنفسه بالرحلة إلى القوم واستعان على ذلك ببعض أصحابه فخالطهم وجالسهم وسمع منهم واستمع إليهم ورأى أحوالهم بعينه ليكون متثبتا من الحال حق التثبت ، وهذا الذي فعله هو عين الحق الذي تعلمناه من منهاج السلف الصالح ومن أئمتنا أئمة أهل السنة والجماعة الذين كان يرحل الواحد منهم شهورا متتابعة يقاسي فيها المتاعب والآلام ليتحقق من صحة سند أو طريق لحديث أو نسبة قول لصاحبه ، والرحلةُ في طلب العلم والدين سُنَّة العلماء على مر التاريخ ، وخاصة المحدِّثين منهم ، ولكن جرتِ العادةُ أن الطالبَ لا يسافر من بلدته إلى بلدة أخرى ليطلب العلم فيها إلا بعد أن يأخذَ من شيوخها وعلماءها ، ويستوعب ما لديهم، ثم بعد ذلك يتوجَّه إلى الأقطار الأخرى ليحصل ما لديهم ، قاطعاً في سبيل ذلك الفيافي، متحملاً لوجه الله تعالى المشاق في سبيل طلب العلم وتحصيله ، ولعل الأخ بن خالد جزاه الله خيرا من هذا الصنف فقد عمد إلى المبلغيين ممن هم حوله وذهب إليهم وجالسهم .

فقد نال فكر التبليغ في العقود المتأخرة اهتماما بالغا من فئة ضالة من المسلمين ، سمتهم لا يختلف عن سمت أهل الصلاح ولكنهم يغتر به العامة فلا يفرقون بينهم وبين الصالحين ! البعض منهم يتسترون خلف هذا الستار الجميل ليمرروا فكرهم التجريحي الخبيث الذي لا يتقصدون به إلا أهل الصلاح والتقوى والإصلاح والدعوة والعلم ! فلا جهد لهم سوى الطعن في هؤلاء المفكرين

والمصلحين والعلماء والدعاء ! ولا كلام لهم سوى عليهم ! ولا تخلوا محاضرة ولا خطبة ولا كلمة ولا كتيب ولا منشور من الطعن في أحد أولئك الدعاة أو العلماء أو الحركات الإصلاحية ! ولا تجد في نتاجهم العلمي أو الفكري أو الكتابي شيئا يذكر يواجه تحديات الأمة وآلامها وأوجاعها أو الأفكار الإلحادية المنتشرة أو الطوفان العلماني الجارف أو التغريب الساحق أو العمالة الفجة أو التطبيع المخزي أو الاحتلال المزري أو الولاء للكفار من أبناء الأمة أو الاستشراق الطاعن في التراث أو غير ذلك من التحديات التي يتصدى لها هؤلاء المصلحين ممن هم تحت سهام هؤلاء المنافقين ! والبعض الآخر منهم مغبون مفتون لا يفهم من الواقع ولا مما يقوله هؤلاء المدسوسون العملاء شيئا فيسير في ركابهم ثقة في لحاهم وجميل كلامهم معتقدا صدقهم وأمانتهم وأنهم سلف الأمة الصالح يحملون الراية ويقيمون الحجة ! ومن هنا تبدأ الفتنة تكبر ويتسع الخرق على الراقع وتتسع دائرة الفكر الخبيث ، فيتبعهم العامة الدهماء ويعاونهم المنافقون ويدفع لهم أصحاب المصالح ويدعمهم أصحاب الكراسي ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وكمثال لدرجة الدقة في التثبت ونبراس على الرحلة في طلب العلم لدى السلف الصالح : (قال الحاكم: أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ همام بن يحيى، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سمعه من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في القصاص ولم أسمعه، فابتعت بعيرا فشددت رحلي عليه ثم سرت شهرا حتى قدمت مصر، فأتيت عبد الله بن أنيس فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب. فقال ابن عبد الله؟ قلت: نعم. فأتاه فأخبره فقام يطأ ثوبه حتى خرج إليّ فاعتنقني واعتنقته فقلت له: حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولم أسمعه في القصاص فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال عبد الله سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: يحشر الله العباد أو قال الناس عراة غرلا بهما قال: قلنا: ما بهما، قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اقصه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف ذا وإنما نأتي الله غرلا بهما؟ قال:

بالحسنات والسيئات قال: وتلا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم) .) [7]

قال بن خلدون في مقدمته مؤكدا فوائد لقيا الناس للتحمل عنهم : (ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها. والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم. ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين. فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ، يفيده تمييز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل. وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات. ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم. وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية. فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.) [8]

التعاون على البر والتقوى :

وقوله : (**فطلبت من أخ حبيب كبير في السن أن يأخذني إليهم للإنصاف**) فيه من التعاون على البر والتقوى ما ترون ، فابن خالد جزاه الله خيرا حينما سمع من الشر ما سمع أراد الإنصاف للناس ولم يعتمد على مجرد السماع والثقة بالقائل أيا كان هو ، فاستعان جزاه الله خيرا بأحد إخوانه الثقات الذين يدلونه فقط على مكان تجمع لدعاة التبليغ ليقف بنفسه على حالهم ويتأكد مما ينسب إليهم ، وحين استعانته برجل أحسن الاختيار فاختار رجلا مسنا حتى يكون له هوى في دلالته أو توجيهه ! وليكون له فضل الدلالة على قدر ما طلب ، وهو ما كان وحدث ،

---

[7] الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (4/ 255) المؤلف : أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين. (صحيح الإسناد ولم يخرجاه. (المستدرك 2/437-438 - ك التفسير، وصححه الذهبي) ، وأخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم مختصراً وحسن إسناده الحافظ ابن حجر (الفتح 1/173-174) ، ووافقه الألباني في (السلسلة الصحيحة 1/302) .)

[8] مقدمة ابن خلدون (ص: 348، بترقيم الشاملة آليا)

فذهب بن خالد مع الشيخ المسن لأهل التبليغ وجالسهم واستمع منهم مرة واثنتين وثلاثا ، وجرب أحوالهم اختبارا وامتحانا وبحثا عما يقال عنهم ويشاع من أنهم أهل بدع وضلال إلى آخر ما يقال . وامتثالا لقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} ، وفي القراءة الأخرى: (فتثبتوا) ، وحيث أنه متاح للرجل التمكن من التثبت والتبين ؛ فوجب علينا القيام به فقام ؛ فلو تبين له من خلال رؤيته ومشاهدته صدق ما يشاع عنهم لقاله ونطق به ولم يكتمه ! ، ولو لم يتبين له شيء من ذلك لوجب عليه الصمت والسكوت وعدم الانحياز لتصديق أو تكذيب لقوله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلا ما لا يريبك» .

ومن هنا نناشد جميع المسلمين في شتى بقاع الأرض وندرج فيهم طلبة العلم والدعاة والعلماء بأن يعلنوا شهاداتهم فيما يرون من أحوال أهل التبليغ والدعوة معهم ، كيف كانت أحوالهم وإلى أي درجة وصلت ، هل كانوا على السنة ثم تركوها وانقلبوا إلى البدعة أم أنهم كانوا على البدع وتركوها وتمسكوا بالسنن ؟! وهل كانوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ثم انقلبوا وأصبحوا في التبليغ لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يطيعون الله ورسوله ؟! ما خطبهم وما حالهم ، نريد من كل مسلم له قلم يكتب به أن يخط شهادته لله تعالى وحده يكتب فيها ما يراه من حالهم نصرة لله تعالى وللدين ، فإن كانوا على خير فكتابته نصرة للخير ولأهل الخير وللدين ولأهل الدين وحفاظة على مستقبل الأجيال القادمة من الفهم المغلوط عنهم ! وإن كانوا على غير ذلك فكتابته تحذير للأمة من خطر داهم قد يحدث فتنا كبيرة ! ألا أين كتاب الأمة ومثقفوها وطلبة العلم والعلماء من الكتابة والذب عن المظلومين ؟! اللهم أَسمِع القوم عنا وخذ بنواصي عبادك إلى البر والتقوى .

الله عند قلب كل متكلم ولسانه :

وقوله : (**فلما ذهبت إليهم ويشهد الله على ذلك ما رأيت منهم إلا كل خير**) حكاية عما شاهد بنفسه وقسم بالله الواحد القهار عما عاين بعينيه وهو عندنا صادق فيما قال لأنه ما أتى بجديد علينا بل غايته أنه صدق ما تربينا عليه وحكى ما نقوم به ليل نهار ونقل ما ننشره بين الناس ،

فليس هناك مجال لدينا أن نشك فيما يقول وذلك لتمام ثقتنا في تصديق كل من ينقل عنا ما نقوله ونشاهده وننشره .

وأما تكذيب أهل الجرح والتجريح والتفسيق والتكفير والشق على القلوب ومعرفة الغيوب فلا سبيل لنا على قوم طمس الله تعالى بصائرهم وأعمى أبصارهم وسد عليهم طريق الفهم والسماع عن الناس ! إنها نعمة من الله تعالى ومنة تستوجب الشكر ، ومهما كذبوا فالحق أبلج والباطل لجلج ، فليمت المداخلة بغيظهم وسيظهر الحق يوما ما على رؤوس الأشهاد وينطق به على رؤوس المنابر .

حرمة الغيبة :

وقوله : (**لا يتكلمون في أحد ولا يغتابون حاكم أو محكوم ..**) فشهادة حق ، لأن أهل التبليغ حفظهم الله لا يخوضون في الناس لا سلبا ولا إيجابا ، وإن حدث من بعض الأفراد ما يخالف ذلك فهو مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يكون خروجا عن منهج الدعوة الذي رسمه شيوخ هذه الدعوة المباركة بعدم الدخول في الخلافيات والاختلافات والمناقشات والمناظرات في أثناء الخروج لأن كل هذا يؤدي بدوره إلى فتح مجالات لا حصر لها للكلام على فلان وعلان والشيخ الفلاني والشيخ العلاني ! فلذلك قطعوا الطريق على الكبير والصغير واهتموا بالغاية من هذا الخروج وهو تبليغ الرسالة وهداية العالمين مع تحمل المشاق والمتاعب في أثناء تأدية هذه الرسالة ، وهذا ما نعلمه عنهم وما شاهدناه منهم ولم نر خلافه .

أما غيبة الحكام فليست من مسلك أهل التبليغ ولا من منهجهم ، فالحاكم في نظرهم رجل من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، إن كان غير مسلم – في بلد يحكمها غير المسلمين – فهو رجل من أمة الدعوة يجب إيصال الدعوة إليه بالطرق المتاحة فإن لم يحدث فهناك تقصير كبير بعدم تبليغ الرسالة حق التبليغ ، وهذا ليس واجبا على فكر التبليغ وحده بل هي مسئولية كل الأمة وكل الأفكار الإسلامية ! والملامة لن ينجوا منها أحد منهم بعذر ! ، وأما كان الحاكم مسلم فلا يخرج عن أمرين ، إن كان عاصيا – بدرجاته المتفاوتة – فهو محل دعوة الدعاة بالطرق المناسبة

والمتاحة لأنه عبد من عباد الله تعالى بل دعوته ونصيحته أوجب من غيره لأن عواقب قراراته وأعماله أشد وأكثر خطرا ، وكذلك يستحق الدعاء بالتوفيق – ما دام مسلما – والسداد علانية وسرا ، في المجالس الخاصة وعلى رؤوس المنابر حتى يهديه الله تعالى ، وهذا ما يقوم به أهل التبليغ مع حكام المسلمين ، وأما إن كان الحاكم متجبرا متكبرا واقعا في كبائر الذنوب أو غير ذلك مما يتكلم فيه العلماء المتخصصون بالسياسة الشرعية فإننا ننأى بأنفسنا عن تلك المشكلات ولا ننخرط في الإدلاء في هذه المعضلات التي لها علماؤها ونلتزم الصمت وعدم الدخول في المعتركات حتى لا تكون فتنة أكبر من الفتنة القائمة وحتى لا يتسع الخرق على الراقع وذلك لأننا – التبليغ وجميع المناهج والجماعات المعاصرة في نظرنا - غير مؤهلين أصلا لمواجهة حاكم أو الخروج عليه أو زعزعة حكمه والقيام مكانه فنؤثر السلامة وتحقيقها غاية ومطلب ، وأما إن كان الحاكم مسلما صالحا فحبه واجب ونصرته واجبة والتعاون معه واجب والدعاء له سرا وجهرا واجب والذب عنه واجب وذكره بالخير واجب والسكوت عن زلاته واجب مع نصحه بما يليق وعدم تهييج العامة عليه واجب وتمني بقاءه واجب ونصح حاشيته بما ينفع الحاكم والمحكم واجب هذا هو الدين وهذه كلها لوازم طاعته ،فإن كان صالحا في نفسه لكنه ضعيف عن نشر كل هذا فيجب في حقه ما سبق دفعا لمفسدة أكبر من إزالته مع نصحه مرارا وتكرارا والتعاون معه في إصلاح الأمة ونشر الخير ، وإن كان صالحا مصلحا ناشرا للخير معينا عليه ناصرا للإسلام ذابا عن حياضه مقربا أهل الصلاح والعلم مبعدا لأهل الشرور والفتنة سائرا على الدين والسنة مُمَكِّنا لها من مفاصل حكمه فكل ما قلناه سابقا واجب على كل صغير وكبير في الأمة ويحرم التقاعس عن مؤازرته ومناصرته.

السياسة الغربية ليست منهج إسلاميا :

وأما قوله : (**ولا يتحدثون في سياسة**) فحكاية عن واقع حالهم ، فمنهج أهل التبليغ والدعوة في السياسة الغربية المستوردة هو الإحجام التام عنها وعدم الانخراط فيها من قبيل ولا دبير ، وهناك فرق - كما يعلم العقلاء – كبير بين السياسة الشرعية النبوية المحمدية وبين السياسة الغربية الديمقراطية المستوردة المفروضة علي العالم كله من قبل دول كبرى وقوات عظمى ! ومهما

يكن بينهما من نقاط اتفاق فلا ينفي وجود مئات النقاط الخلافية المفصلية التي لا يلتقي فيها الطرفان مطلقا ! .

وفي هذا رد على من يزعمون أن التبليغ يفصلون الدين عن الدولة أو يفصلون الدين عن السياسة ! وذلك لأن الدين الإسلامي له سياسته الإسلامية ، وهي مضادة ومصادمة تماما للسياسة الغربية المستوردة المفروضة على دولنا كلها .

ومهما يرى بعض الإسلاميين الانخراط في السياسة الغربية بدعوى أو بأخرى فإن هذا لن يحسن صورة تلك السياسة أو يجعلها تتوافق مع الإسلام ، غاية ما يفعلون هو تقليل بعض المفاسد بالوسائل الغربية التي لا يسمح الغرب إلا بها ! وأما كون تلك الطرق شرعية أو غير شرعية فهذا موضوع آخر تماما .

ولذلك فإن أهل التبليغ لا يتدخلون في تلك السياسات الغربية لأسباب عدة منها أن هذه السياسة مخالفة للشرع في الأصل ولا تسمع بإقامة الشرع ، وأنهم ضعفاء عن مواجهة مجتمع مخالف بالكامل لهم في التوجه الديني فلذلك وجب إصلا المجتمع دينيا أولا ومن ثم سوف ينخرط في هذه السياسة أناس يصلحون فيها تدريجيا ، وكذلك لأن هناك من هم متخصصون في ممارسة تلك السياسات ! ، وأما مسألة فصل الدين عن السياسة فليس منهج أهل الإسلام ولا منهج أهل الدعوة .

وفي هذا أيضا رد صريح وقوي على المنافقين الذين يزعمون أن أهل التبليغ يكيدون للحكومات مثل حكومة المملكة العربية السعودية ويكرهونها ! وأن وجودهم في المملكة خطر على أمن البلاد ! ، وكل هذه الادعاءات والأقاويل أكاذيب لا صحة لها ولا أدلة عليها مطلقا ، لأن حركة التبليغ الدعوية الإيمانية لو كانت تريد شيئا من ذلك لانخرطت ضد الحكومات في الأعمال السياسية المعارضة أو على الأقل هيجت الشعوب على حكوماتها ! أو حتى أدلت بتصريحات سياسية مع أو ضد الحكومات ! أو وجهت الشعوب لاختيار وجهة معينة من الوجهات المتعددة سياسيا ! ولكن أهل التبليغ مبتعدة كل البعد عن كل ما يمت للسياسة أو الحكومة بصلة ، فلا كلام ولا مواقف توافق أو تخالف السياسات أو الحكومات أو الأحزاب ! وهذا هو أسلم الطرق حاليا لحركة دعوية ما زالت تستكشف الواقع وتبحث عن بارقة أمل فيه لإصلاحه وتغييره ، ولو صحت دعاوى هؤلاء المنافقين لثبتت المواقف العديدة ضد أهل التبليغ في المملكة العربية

السعودية أو في غيرها من البلدان العربية ، فمتى لم يثبت موقف واحد يثبت ذلك فهو دليل على كذب تلك الدعاوى .

ولذلك فإن الأخ بن خالد حينما شهد بما رأى قد شهد بمنهج القوم الذي أعلنوه منذ بداية عملهم وحركتهم ، نسأل الله لهم التوفيق فيما يصلح البلاد والعباد .

الدعوة هي أم الأعمال :

وقوله : (**كل عملهم الدعوة إلى الله**) فحكاية عن حقيقة واقع أهل التبليغ حفظهم الله ، وذلك لأن الدعوة التي ينتهجها أهل التبليغ هدفها هو تغيير المجتمع بأكمله ولكن خطوة بخطوة ودرجة درجة ، فليست الغاية في هذه الدنيا إلا تعبيد الناس لله تعالى وحده لا شريك له ، حتى الجهاد في سبيل الله تعالى بالسيف ليس غايته القتل وسفك الدماء أو فتح البلدان والاستيلاء عليها أو سبي النساء أو غنيمة الأموال ، بل الغاية هي إزالة الباطل والحواجز التي تعوق نشر الدين والدعوة (واقرأ إن شئت مثالا من حياة النبي صلي الله عليه وسلم : ((فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ)[9] (حَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ[10] شَدِيدَةٌ)[11] (وَكَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي خَيْبَرَ وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ , فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -؟ , فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - , فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -:)[12] (" لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا)[13] (يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[14] (يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ)[15] (فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا , فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا , فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ " , فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ,

---

[9] مسلم 132 - (1807)

[10] أَيْ: مجاعة .

[11] البخاري 4196

[12] البخاري 3702 , مسلم 35 - (2407)

[13] البخاري 3973

[14] مسلم 32 - (2404)

[15] البخاري 2783 , مسلم 35 - (2407)

يَا رَسُولَ اللَّهِ , قَالَ: " فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ ")[16] (فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -)[17] (" فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ " , فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ , فَقَالَ: " انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ , ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ , وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ , فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)) [18]
وفيه بيان لحياة النبي صلي الله عليه وسلم وجهاده لتبليغ دين الله ، ولاحِظ قول عليٍ رضي الله عنه (أقاتلهم حتي يكونوا مثلنا؟) فبين النبي صلي الله عليه وسلم له مقصود بعثته وأن القتال ليس هدفا ولا غاية ! بل الهدف هو الدعوة إلي الله تعالي فقال (انفذ علي رسلك حتي تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلي الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه) وهذا صريح في أن الدعوة هي أم الأعمال الطيبة وبوابة الإسلام ، فبها يدخل الناس في دين الله أفواجا ، وبتركها يموت الناس علي الكفر إما جاهلين بالإسلام أو معرضين عنه ، بل قد يخرج من دين الله تعالي بعض من هم فيه .) [19]

واعلم أننا حينما نقول أن الدعوة هي أم الأعمال نعني بها أن ل عمل صالح يقوم به المسلم يتأتي بالدعوة إلى الله تعالى ، فالكافر لا يصبح مسلما إلا بعد أن يُدعى إلى الله تعالى وإلى الإسلام ! وبدون الدعوة لن يدخل في الإسلام ! ولن تجد كافرا ولد كافرا ثم أسلم من تلقاء نفسه من غير أن يُدعى ! وكذلك الطائعون له تعالى المصلون لم يصبحوا مصلين إلا بالدعوة إلى الله تعالى ، والمزكون كذلك تحفزهم على الزكاة وتذكرهم بها الدعوة إلى الله تعالى ، والدعوة التي فرضها الله تعالى على عباده في كل جمعة غايتها إقامة كل أعمال الدين وتذكير المسلمين بذلك مرارا وتكرارا ! ، فالدعوة إلى الله تعالى هي سبب إقامة كل الأعمال الدينية التي أمر الله تعالى بها ، وبغير الدعوة إلى الله تعالى يكون هناك خلل كبير في الأمة ، وتنحدر الشريعة ، وتتخلخل الأمة وتتزعزع قوتها ويتصدع أركانها ، وهذا هو المشاهد في زماننا هذا ، حينما قلت الدعوة إلى الله

[16] البخاري 3498
[17] مسلم 132 - (1807)
[18] 463/9 الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ، للشيخ صهيب عبد الجبار
[19] الرد البليغ على منتقدي أهل الدعوة والتبليغ - (ج 1 / ص 15)

تعالى وصارت وظيفة يقتات بها بعض الموظفون لم يصبح في هؤلاء الموظفين من يحمل هم هذه الدعوة والأمانة بقدر ما كان سابقا في عهد السلف الصالح ! فأصبح الموظف يخاف على مصدر رزقه فلا يتكلم في دعوته التي استؤجر لأداءها إلا بما يريد من يعطيه المال ويوظفه في تلك الوظيفة ، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ قُلْتُ وَقَالَ مُوسَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي. قَالَ « أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لاَ يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا »[20]. وهذه المسألة فيها خلاف بين العلماء من أخذ أجرة أم الاحتساب ، إلا أن الخروج من الخلاف والورع في مثل هذه المسألة أولى . وعلى كل فأهل الدعوة حفظهم الله تعالى لا يتقاضون أجورا من جهات معينة ولا حتى مجرد هدايا من أهل الثراء ولا يقبلون كفالة من أحد ، اقتداءا برسول الله صلى الله عليه وسلم المحتسب .

لا مشاحة في الإصطلاحات ما لم تخالف شرع الله :

وقوله : (**نعم هناك أمور تستغرب منها كتحديد ثلاثة أيام، وينكرون عليهم (مع العلم أن هذا للترتيب ليس إلا)**) فليس مستغربا لأنه اصطلاح وترتيب بين فئة من المسلمين ، رتبوه على حسب أحوالهم وحالاتهم ، لا اختراع فيه ولا ابتداع ، لم يقل أحد منهم أن هذا الترتيب دين وشرع وسنة وعبادة ! إنما هذا الترتيب وسيلة حادثة غير معارضة للشرع نتوصل بها إلى تطبيق شعائر الله تعالى وتحقيق مراده (لم يثبت دليل شرعي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من أصحابه بإثبات أو إطلاق تلك التسميات التى تعارف عليها المتأخرون واصطلح عليها من بعدهم ! فغاية الأمر أن اجتهاد العُلَمَاء فى تقديم تلك المَسَائِل مقبول ما وَافَقَ الكِتَاب والسُّنَّة ولم تخالف فهم سلف الأمة من الصدر الأول وما تلاه من قرون أهل الصلاح والإتباع والسُّنَّة . ولابد أن نعلم أن القاعدة الأصولية تقول " لا مشاحة في الاصطلاح " أي لا تنازع ، قَالَ

---

[20] سنن أبى داود (1/ 209)

الإِمَام ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ " - والاصطلاحات لامشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة . "[21] [22]
.

فاعلم أخي بارك الله فيك أن تراتيب الجماعات الإسلامية والأفكار والأحزاب والحركات والهيئات والجمعيات والجامعات والكليات والندوات لا حرج فيها مطلقا طالما أنها لم تعتبر شرعا ودينا ولم يوالى عليها ويعادى عليها ، وطالما أنها لم تُنسب إلى الدين ولم تُضف إليه ، وطالما أنها لم تخالف أو تعارض أمرا من أوامر الله تعالى أو أمرا من أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم . بهذا فتلك التراتيب كلها مباحة لا حرج فيها .

جوابكم هو جوابنا ، أفلا تعقلون ؟ ! :

وأما قوله : **(وأقول ، من الذي سمح بوضع وقت محدد للإقامه ، بمعنى من الذي جعل بين الأذان والإقامه لصلاة العصر مثلا 20 دقيقه ، أليست هذه من (البدع) في نظري -القاصر- هذا لترتيب فحسب وقس على ذلك مكبرات الصوت وتأخير أذان العشاء في رمضان (في السعوديه)**) فاعتراض على المعترض على ترتيب الناس ! ، وهذا اعتراض وجيه من أي عاقل ، لأن كل تلك التراتيب من المفترض أن تأخذ نفس الحكم والتوجيه ، فلو أجيزت فكلها جائزة ولو منعت فكلها ممنوعة ، وترتيب أمور كل هذه الجماعات الإسلامية والأفكار والأحزاب والحركات والهيئات والجمعيات والجامعات والكليات والندوات واحد في الحكم ! لأنها اجتهادات بشرية في الوسائل الموصلة إلى الشعائر !

فإن قيل ترتيبنا هذا مجرد ترتيب أما ترتيبكم ففريضة في نظركم وركن في عملكم وبدعة في دينكم ! قلنا ويعلم الله تعالى أن ترتيبنا هذا وسيلة موصلة إلى الشعائر ولم يكن يوما بدعة ملصقة بديننا ولا سنة مخترعة في شريعتنا ولا ركنا لا يقوم إلا به عملنا ! ، وما أيسر أن نتهمكم بما تتهمونا به ولكننا نقول للجاهلين سلاما .

---

[21] مدارج السالكين " (3 / 306) .

[22] شرك الجاهلية بين الإقرار والإيمان 42

إن اعتراض الأخ بن خالد على عضو جماعة التبديع والتفسيق اعتراض وجيه من اليسير أن يعترضه كل عامي ، فضلا عن طالب العلم والعالم الذي يعرف سذاجة اعتراضهم على عمل التبليغ والدعوة ، ومع هذا فلا تستبعد أن يشوش هؤلاء المنافقون أيضا على رجل كصاحبنا هذا ويقولون انظروا كيف يفهم العمل الاجتهادي بهذا القدر من السذاجة ؟! وبعضهم قد يبدعه بزعم أن يبدع تأخير الإقامة عن الصلاة بقدر كذا ! ، ومع أنه لم يبدع أبدا ، إنه – فقط – يحكي مقارنة يسيرة بين ترتيبات معاصرة مشاهدة ، إلى آخر ما يتفوهون به من تفاهات وسفالات نعوذ بالله تعالى منها .

حينما خالف بن خالد القاعدة ، لا نوافقه :

وأما قوله : (**نعم هناك شركيات وخرافات، لكنها ليست من الجماعه التي في بلاد الحرمين، ستجدها في باكستان والهند وغيرها**) فهو مجاراة أو تواطؤ مع الهجمة الشرسة الهمجية التترية المدخلية ! ويكأنه يحاول إظهار موافقتهم في شيء مما يقولون ليتفادي شرهم ويتجنب سفالة ألسنتهم ! وإلا فمن أين عرف الأخ بن خالد أن هناك شركيات وخرافات عند أهل التبليغ سواءا في المشرق أو في المغرب ؟! من أين له معرفة ذلك وهو لم يخالطهم ولا ينخرط معهم ولم يقابلهم ولم يسمع منهم ؟!

إننا مدحنا فعله الأول حينما أراد أن يتثبت بنفسه من نسبة هذه التهم إلى أهل التبليغ ، وآزرناه وشددنا على يديه وكتبنا ما كتبنا تأييدا له ومؤازرة وتقوية لموقفة ، لأنه فعل فعلا حسنا مطابقا للقواعد العلمية الواجبة الاتباع حين الحكم على الأفراد أو الجماعات ! أما وإنه خالف هذا المنهج العلمي الرباني في هذه النقطة فإننا لن نوافقه فيها ونرد عليه ما قال بنفس ما قال في مطلع كلامه : (فطلبت من أخ حبيب كبير في السن أن يأخذني إليهم للإنصاف ، فلما ذهبت إليهم ويشهد الله على ذلك ما رأيت منهم إلا كل خير) فهلا تثبت بنفسك وتأكدت يا أخي مما تقول قبل أن تقول ؟! ألست أنت من تثبت بنفسك في حالة أهل بلدك وتأكد لديك أنهم لا يصح فيهم قول هؤلاء الكذبة ؟! فلماذا صدقت كلامهم في إخوانهم الآخرين الذين هم على نفس النهج والعمل ؟! ألم يكن جديرا بك أن تشد الرحل إليهم وتسمع منهم كما فعل خالد بن عبد الرحمن حينما سمع

مثلما سمعت فتثبت بنفسه مثلما تثبت ولكنه ذهب إليهم في عقر دارهم فسمع منهم وسألهم ثم كتب عنهم رسالته الشهيرة عن قصد وعمد وعلم ويقين ! فلماذ لم تفعل فعله ؟! فإذا كان عسيرا عليك الذهاب إلى هؤلاء القوم فإن السكوت ليس بعسير ! لأنه واجب عليك أن تسكت وتصمت عن الإدلاء برأي فيما لا تعلم ! وإنا عاذروك في هذا لأنك لست من أهل العلم ولا المشايخ بل أنت رجل مسلم لك حق الشهادة ، ولك علينا حق النصيحة فنقول : يا بن خالد لا تتكلم فيما تعرف إلا بعلم ويقين كما هي عادتك الطيبة وإلا فإنك تفتري على الناس كذبا وزورا ، فاتق الله تعالى ولا تلج هذا الباب اغترارا بمنافقين ولجلوه . لهم أمام الله تعالى موقف لن ينجو منه أحد .

واسمع منا ياأخي ما نحن على ثقة منه ، إن أهل التبليغ والدعوة منهجهم الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك والتنديد ، والتحذير من كل شوائب الشرك صغيره وكبيره ، لا يوجد عندهم شركيات وبدع كما يزعم الزاعمون ، ومن أراد أن يتثبت من ذلك فليذهب إلى شيوخهم وليستمع إلى كلامهم ثم يسألهم عن اعتقادهم في ذلك ، فإن أجابوه بخلاف ما قلنا فلينشره عنهم ولننشره معه ، وإن أجابوه بمثل بما أجابوا خالد بن عبد الرحمن فيجب عليه أن ينشره وإن كان على خلاف معرفته عنهم وإنا لننشره ونعلنه وإن كتمه من كتمه أو تراجع عنه من تراجع ! فلا يحق لرجل أن يتراجع عن كلام غيره كما لا يحق لرجل أن يبيع ما لا يملك !

عليك بما ترى وتسمع ودع عنك ما خفي عنك :

وقوله : (**بل ستجد كثير ممن ينسب للعلم . كالدكتور عبدالله المطلق عضو هيئة كبار العلماء، والدكتور زيد الزيد عميد المعهد العالي للقضاء في جامعة الامام وغيرهم ، تجد أنهم يثنون عليهم ويرحبون بزيارتهم**) فغيض من فيض ! لأن كثيرا من شيوخ العصر أثنوا ثناءا بالغا على أهل الدعوة بارك الله فيهم .

فعمل الدعوة هو من الأعمال الدعوية الشهيرة التي لا يجهلها أحدا من أهل العلم ، إذ لا يكاد يوجد عالم من علماء العصر إلا وسئل عنهم مرارا وتكرارا وبحمد الله تعالى يخرج الجواب من العلماء ناطقا بحقيقتهم ومعبرا عن حالهم ! إلا الفئة الباغية على أهل العلم والدعوة والتقوى المسماة المدخلية ! شر من حمل العلم وأضل من زعم الدعوة ! لم يسلم من ألسنتهم عالم ولا داعية ، ولم

يفلت من سمهم فكر ولا منهج ! الأمة كلها في نظرهم ما بين مبتدع وفاسق وزنديق وجاهل وحاقد على منهجهم السلفي – زعموا - ! ، لا بارك الله عملهم ولا كثر عددهم .
إن كبار علماء العالم الإسلامي يشهدون لأهل الدعوة بالأخلاق الحسنة والعمل الدؤوب لنشر الخير بين الناس وهداية الضالين إلى طريق رب العالمين بالكلمة الطيبة والبسمة الحانية والرفق واللين والحكمة ! جزاهم الله تعالى كل خير على فعلوا وبارك الله عملهم وزادهم من فضله .
(ومما ذكرنا أن هذه الأفكار هي التي عُرضت على علماء نجد والحجاز ، وعلى جلالة الملك سعود وتفصيل ذلك في كتاب (العروة الوثقى) لفضيلة الشيخ احتشام الحسن.
وبذا اطمأنت نفوس كبار العلماء في الحجاز إلى دعوة الشيخ محمد الياس رحمه الله وأجازوه بكتبهم وكتاب ملك المملكة العربية السعودية في حينه، وما زالت فتاوى المشايخ النجدية وأولهم الوالد الشيخ ابن باز وابن عثيمين رحمهم الله وابن جبرين والجزائري وغيرهم من أهل العلم والفضل؛ بهذا انطلقت دعوة الشيخ محمد الياس رحمه الله فقد انطلق من الميوات بعد أن نجح في دعوته (وأثره باق فيهم إلى يومنا هذا) يجوب الأرض الهندية من مشرقها إلى مغربها يُعّلم الناس ويشرح لهم، ويجلس إلى العلماء ويحاورهم، فأيده منهم خلق كثير وتأثر بدعوته العلماء وناصروه وخرجوا معهم إلى الأصقاع والقرى.
أنقل لكم ما تحدث به الأستاذ الفاضل الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله عن دعوته في كلمة وجيزة قال رحمه الله: "لقد رأى مولانا محمد الياس ما أصاب المسلمين من التحللّ والإفلاس في الإيمان والروح والشعور الديني في هذا الزمن، وما أثّرت فيهم الحكومة الإنجليزية والحضارة الغربية والتعليم المدني، وغفلة الدعاة والانشغال الزائد في الحياة والانهاك في المادة، حتى صارت المدارس الشرعية والأوساط الدينية كجزرٍ في بحر محيط، فأصبحت تتأثر بمحيطها الثائر على الدين ولا تؤثر بضعفها وعزلتها على الحياة.
فرأى أن التعليم لوحده لا يكفي، وأن الانعزال لا يفيد والانزواء لا يصح ولا بد من الاتصال بطبقات الناس، ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار، لأنها لا تشعر بمرضها وفقرها في الدين ويجب أن يبدأ بغرس الإيمان في القلوب ومبادئ الإسلام ثم الأركان والعلم والذكر مع مراعاة

الآداب التي تقوي هذه الدعوة و تحفظها من الفتن ... منها إكرام المسلم، ومنها عدم الإنشغال بما ليس هو من الدعوة وما ليس من سبيل الداعي، وترك ما لا يعني.) [23]

العلم مع الذكر :

وأما قوله : (**وقضية أنهم لايهتمون بالعلم الشرعي ، فهذا نوعا ما صحيح ، لكني وجدت منهم طالب العلم الذي يحضر دروس د. صالح الفوزان، ووجدت منهم القاضي في المحكمه**) فلا يسلم به مطلقا ! فأهل التبليغ والدعوة منهم طلبة العلم الذين يتعلمون العلم وينشرونه ومنهم العلماء الكبار أصحاب المؤلفات ومنهم – وهم الأكثرية – العامة البسطاء أمثال أبي وأباك وجدي وجدك وعمي وعمك وخالك وخالك ! عامة أمة الإسلام ! الذين هم سوادها الأعظم ووحدة بناءها ! يقومون بواجب الدلالة على الخير والدعوة بقدر ما يعلمون فليسوا فقهاء ولا مفتون ولا مؤلفون ولا مناظرون ! فلماذ الهجمة الهمجية البربرية التترية الهوجاء على هؤلاء الدعاة الأنقياء ! في كل محفل واجتماع يصيح الهمج الرعاع بأعلى الأصوات (إن التبليغيين لا يطلبون العلم) ! وكذب الأثيم ! فأهل العلم في المبلغيين كثر ولله الحمد ، ولا يجب أن يكون كل فرد في أهل التبليغ والدعوة عالما موسوعيا ! بل يكفيهم أن يكونوا مثقفون الثقافة العامة التي تكفيهم لنصح الناس بما يجب عليهم تجاه دينهم وربهم ونبيهم ! كما أن عامة الأمة يجب عليها أن تنصح أهلها وبنيها فهؤلاء يقومون بهذا الواجب في الناس وبقدر المعرفة التي يقومون بها في أهليهم وذويهم !

فإن قال قائل هناك فرق بين أن يتصدر للدعوة في الناس وبين كونه ينصح أهله ويعلمهم ! ، قلنا لا فرق إلا في عقلك أنت ، ومن الذي فرق بينهما ، هذه نصيحة وتلك نصيحة ، وهذه ثقافة عامة وتلك ثقافة عامة ، وهذا ينصح في المعلومات من الدين بالضروة وهذا مثله ! وهذا لا يفتي فيما لا يعلم وذاك مثله ! فما الفرق إذن ؟! إنها حجة منك غير ملزمة لأحد تحاول أنت أن تجعلها عقبة كؤدا لتوقف بها ركب الدعاة إلى الله ، لا بارك الله مسعاك .

---

[23] هذه دعوتنا - (ج 1 / ص 20)

فإن قيل إن الداعي المتصدر أمام الناس قد يُسأل سؤالا فلا يستطيع الإجابه ! ، وهذا يحرجه ويقلل من شأن الدعاة ! ، قلنا نحن نعلم طريقنا جيدا وندرس لدعاتنا جيدا أنه من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ، وكما هو معلوم أنه يضاف إلى هذا الست صفات صفة سابعة كعامل مساعد على نيل المقصود في الدعوة وهو: الاهتمام بترك ما لا يعنيه وهو من حسن إسلام المرء . فدعاتنا يدركون جيدا أنهم لا يتكلمون فيما لا يخصهم ، ويتدخلون فيما المسائل العلمية ، ولا يتصدرون للإجابة على أسئلة السائلين ما داموا غير مؤهلين لذلك ، لأن شغل الدعاة يختلف اختلافا كبيرا عن شغل العلماء ، فالعالم أشمل من الداعية ! فكل عالم داعية وليس كل داعية عالم ! وهذا هو مقصود ومعنى قولنا بالتفرقة بين العالم والداعية ، وليس كما يروج المنافقون بأننا نقلل من شأن العلماء ! بل نرفع شأن العلماء ونضعه في المرتبة المستحقة .
ولعل أصدق رد على هؤلاء المنافقون الزاعمون أن أهل التبليغ يهملون العلم هو قولنا إن الصفة الثانية التي يهتم بها أهل التبليغ والدعوة في عملهم يوميا هي صفة العلم مع الذكر ، وهذه الصفة يقضون فيها ساعات يوميا يتعلمون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتذاكرون سيرته ويصححون كلام ربهم في جلسات يومية ، مما يغير حالهم تغييرا جذريا عما كان قبل لحاقهم بالدعوة والتبليغ ! فمن ذا يصدق أنهم يهملون التعلم وهم من تغير حالهم من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهداية ومن الجهل بالله إلى معرفته ! فأي علم أفضل من هذا وأي معرفة أرجى من تلك ؟! وأما سلوك طريق العلم المنهجي الذي يسلكه طلبة العلم فهذا طريق آخر ! لا يجب على كل فرد في الأمة أن يسلكه ! فكما قيل لكل شيخ طريقة ! وهي مقولة صحيحة المعنى ، ومع هذا فلا يخلوا جهد التبليغ والدعوة من علماء وطلبة للعلم ودكاترة في الجامعات ! .

نصلي خلف كل بر وفاجر :

وأما قوله : (**أما قضية الخروج على ولاة الأمر فحدث ولا حرج من اتهام التبليغ (الأحباب) بأنهم يدعون إليه ويأمرون به وهذا قمة الجهل والعمى عن مراد هؤلاء ، فإني ويشهد الله على ذلك سمعت بأذني يمدحون ويثنون على الأمير ويباركون في أفعاله ، لا أقول أنهم يمدحون امام أناس غير التبليغ بل بين بعضهم البعض**) فصدق ! لأن أهل التبليغ جزاهم الله خيرا لا يخرجون

على حاكم أيا كان في أي بلد ، لأن الخروج على الحكام بالسيف أو بالكلمة ليس من منهج أهل التبليغ أبدا ولا من وسائلهم الغييرية !

إن منهج الخروج على الحكام منهج له ما بعده ، يسلكه من يسلكه ويتبناه من يرغبه ، لكن أهل التبليغ بمنأى عن هذا الطريق وبمعزل عن اعتقاده ، والواقع خير شاهد على هذا ، ويكفى العاقل أن ينظر بعين الإنصاف للواقع والمجتمع سيجد أمته في أضعف حالة ممكنه عبر تاريخها ! وأهل الدين في هذا العصر قلة ضعفاء ! لا حيلة لهم بتغيير موقف أو حالة بلد ، فلذلك تتكاتف الجهود لتغيير الحال المزري ، ولكل وجهة هو موليها ، فاختار التبليغ طريق الدعوة إلى الله تعالى في المرحلة المكية وهي الدعوة بالإيمانيات والبعد تماما عن الصدامات اللفظية والفعليه !

وأما عن تعارض المواقف وتضاد الأقوال من المرجئة المنافقين عن أهل التبليغ فحدث ولا حرج ! يقولون (يفصلون الدين عن الدولة) ويتهمونهم بذلك ، وفي نفس الوقت يتهمونهم بأنهم (يخرجون على الحكام ويهيجون الناس عليهم) !! فكيف يجتمع النقيضان يا معشر العقلاء ؟!

إن الله تعالى قد منحنا فرصة عظيمة للدفاع عن أنفسنا وهي عمى قلوب المنافقين وأعينهم ، فأضحوا يتخبطون في مقالاتهم ويتناقضون في أقاويلهم ، فأصبح يضرب بعض كلامهم البعض الآخر ، ومن هنا يسلمنا الله تعالى من شرورهم .

إن منهج أهل الإسلام أهل السنة والجماعة وأهل التبليغ والدعوة ما أثر عن علماء السلف رحمهم الله تعالى ، قال **جمال الدين السرمري** [24]

وَإِنْ نَحْنُ بَايَعْنَا إِمَامَاً بِبَيِعَةٍ ... وَفَيْنَا وَلَمْ نَغْدِرْ وَلَا خَيْرَ فِي الْغَدْرِ
وَنَلْقَى وُلَاةَ الْأَمْرِ مِنَّا بِطَاعَةٍ ... وَلَا يَلْتَقِي بِالسَّيْفِ مِنَّا أُولِي الْأَمْرِ
وَنَنْصُرُهُمْ إِنْ يُجَاهِدُوا وَنُطِيعُهُمْ ... وَإِنْ ظَلَمُوا عُذْنَا مِنَ الظُّلْمِ بِالصَّبْرِ

إن اعتقاد أهل السنة في مسألة الخروج على ولاة الأمر وسط بين الغلاة والجفاة فقد قرروا اعتقادهم من صريح النصوص القرآنية والنبوية ، وهو عدم جواز الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي والظلم والجور، وضابط الخروج عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)، ومعنى (كفراً بواحاً)، أي: واضحاً صريحاً لا لبس فيه ولا

---

[24] نهج الرشاد في نظم الاعتقاد (ص: 57) المؤلف: يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العبادي العقيلي، جمال الدين السرمري (المتوفى: 776هـ)

احتمال، ففي هذه الحالة يجوز الخروج في حال القدرة على ذلك ، وأما في حال عدم القدرة على تحقيق تلك المصلحة فلا يجوز الخروج عليهم مهما حصل منهم لأنه الغرض ليس مجرد الخروج ولكن ما بعده.

وأهل السنة والجماعة حينما قرروا هذه القاعدة إنما قرروها انطلاقاً من هذه النصوص الكثيرة التي ورد فيها النهي عن الخروج على الحكام بمطلق الظلم الواقع منهم على الناس أو بالمعاصي التي يفعلونها ، وضابط هذه المسألة قاعدة المصالح والمفاسد، أي: عند اجتماع المصالح والمفاسد يقدم درء المفاسد على جلب المصالح، فالصبر على جور الحكام وظلمهم يتعلق به مصالح عظيمة في حال عدم القدرة على إزالة الظلم وإقامة العدل ، وذلك أن الله علق باستقرار البلاد تحت حكم الأئمة الصالحين مصالح عظيمة، فعلق عليهم إقامة الحدود، واستقرار الأمن، وأداء الحقوق، وردع الظالم، واجتماع الكلمة، والقوة أمام أعداء الأمة فلا تغلب، بخلاف ما يسببه الخروج عليهم من النزاع والفشل والفرقة، وتربص الأعداء بالأمة الدوائر، واختلال الأمن ونظام الحياة والتعليم والاقتصاد، وغير ذلك من المفاسد التي لا حصر لها إذا شغر الزمان عن الإمام ، ومنها أيضا إراقة الدماء والتناحر بين الطامعين في الحكم والتطاعن بين أبناء الأمة وما يؤدي ذلك من التطرف ، فإذا كانوا حكاما ظالمين أو جائرين نظر المسلمون في حالهم ، فإن كانوا يستطيعون إزالة الظلم والجور والكفر البواح بمفاسد أقل من الموجودة فهنا يجوز لهم الخروج عليهم ، أما إذا كانت المفاسد أكبر من المفاسد الواقعة فهنا لا يجوز الخروج عليهم ، وهنا يقال أي المفسدتين أعظم ؟! : هذه المفاسد المترتبة على الخروج على الحكام أم مفسدة الجور أو الظلم أو المعصية التي يفعلها الحاكم ؟ لا شك في أن الصبر عليهم وعدم الخروج على حكمهم مصلحة راجحة وهو ما تدل عليه النصوص الشرعية .

ولذلك قرر علماء المسلمين على مر التاريخ هذه العقيدة ، قال الإمام الطحاوي [ولا نرى الخروج على أئمتنا -يعني: بالمعاصي- وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة].

وقد أهل السنة تميزوا عن أهل البدع بهذا الأصل وسار على هذا المنهج أهل التبليغ والدعوة فلم يخرجوا على حاكم ولم يعينوا على ذلك .

هذا ما ستسأل عنه :

وقوله : (**وأكرر ما أقول قد ذهبت إليهم عدة مرات ولم أجد إلا كل خير**) فهو منهج صحيح يتوافق مع المنهج العلمي الصحيح في التحقيق ، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ، لا يجوز لأحد أن يحكم على شيء لا يعلم كنهه ولا كيفيته ! وهذا ما ننتقده في المجرحين أنهم لا يتحرون الدقة ولا يبحثون عن المعلومة الصحيحة من مظانها ، ولكنهم يعتمدون اعتمادا كليا على النقول عن بعضهم البعض والثقة المتبادلة بينهم لا تكاد تثق فيها ، فهم أكثر الناس انقلابا على مبادئهم وعلى بعضهم البعض ، فبعضهم يثق في شيخ من منهجه التجريحي لأنهما متوافقين في فترة زمنية ، ويكتب كل منهما مدحا في أخيه وإطراءا ، ثم لا تلبث أن تجدهم حديث الساعة والحرب بينهم ضروس ، يبدع كل منهم الآخر ويفسقه ويخرجه من السلفية ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من أقوام أيسر تهمهم إخراج بعضهم البعض من السلفية ، وحرمانه من منهج أهل السنة وإلحاقه بالمبتدعة ! أَلِمُجَرَّدِ المخالفة فيما بينكما في مسألة أو مسألتين يخرج أحدكما الآخر من السلفية ؟! إن هذا لأمر عجيب .

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن من أكذب الكذب أن يتلقى الإنسان الأخبار دون تحر أو تثبت ثم يشيعها وينشرها في الناس، فقد ورد التحذير من ذلك والذم في الحديث: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما يسمع).

وبعض الناس أيضا يسوغ لنفسه الخوض في الباطل والكذب والظلم ونحو ذلك، بحجة أنه ليس عليه وزر في الحكاية إنما هو ناقل وقد يون ناقلا عن ثقة ! وهذه جريمة كبرى يقع فيها بعض الأغرار يجب أن يحذروها ، فيظن أنه قد برئت ذمته من الإثم لأنه ناقل ، والعهدة على من سبقه في السلسلة النقلية الحاملة للخبر ! ؛ لكن الحديث المذكور يبين أن الإنسان لا يعذر لكونه ناقلاً فحسب ، وإنما هو مطالب بالتثبت قبل النقل فيما يريد أن ينقله، بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام: (كفى بالمرء كذباً) يعني: لا كذب أكثر من ذلك (أن يحدث بكل ما يسمع)، ففي هذا وجوب التثبت قبل تناقل الكلام وتداوله. وفي هذا الجزء من الآية: ((فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) تقرير التحذير وتأكيده، لأنكم قد ((تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ)) فبين الله سبحانه وتعالى أن ذلك ليس مما لا يلتفت إليه، أي: لا تستهينوا بهذا الأمر ولا تحتقروه، بل إنكم قد تحسبونه هيناً ويكون عند الله عظيماً.

قال الشيخ سلمان العودة في وسائل التثبت : (أنتقل إلى نقطة خامسة وهي وسائل التثبت: للتثبت وسائل، أذكر منها ما يلي (أذكر ثلاث وسائل فقط):

الوسيلة الأولى: الوقوف على الأمر بنفسك.

أي إذا أخبرت بأمر، أو قيل لك قول، حاول أن تذهب إلى الأمر بنفسك لتقف على حقيقته -فإذا أُخبرتَ أنه وقع في مكان كذا، وكذا حادثة، اذهب إليها لتعاينها بعينك، أو أُخبرتَ أن فلاناً يقول كذا وكذا، اذهب إليه، وقل: يا فلان سمعت كذا، وكذا، أهذا صحيح أم لا؟ المهم أن تقف على الأمر بنفسك، وهذا هو أعظم الوسائل، وأولى ما يجب أن يسلكه الإنسان إذا كان ممكناً، أن لا تجعل بينك وبين أمر من الأمور واسطة، وهذا يعطي الناس ثقة بك، فأنت إذا قلت: حدث كذا، وكذا وسألك الناس: هل رأيت؟ قلت: نعم! رأيت بعيني، أو قالوا: سمعت؟ قلت: نعم، سمعت بأذني فتتعود أن تكون إنساناً متثبتاً تقف على حقائق الأمور بنفسك، ولا تعتمد فيها على الناس -ولو كانوا ثقات-، إذا أمكن أن تقف عليها بنفسك، فهذه هي الوسيلة الأولى، وسيلة الوقوف على الشيء بنفسك، سواء كان حادثة، أم حديثاً، أم خبراً، أم رأياً، أم غير ذلك.

الوسيلة الثانية: الاعتماد على الرواة الثقات.

وذلك لأن الإنسان قد لا يتمكن أن يتثبت من كل شيء بنفسه، قد يسمع عن أخبار بعيدة، وعلماء بعيدين، وعن أحداث في مناطق نائية وفي بلاد نائية لا يتمكن من الوقوف عليها بنفسه، وهنا ينتقل إلى الخطوة الثانية، وهي أن يعتمد على الرواة الثقات، الأوفياء، الأملياء، كما قال الأولون: [[إن كان صاحبك ملياً فخذ عنه]] إن كان ملياً فخذ عنه، أما إن كان إنسان مثل الريشة في مهب الريح فهذا الإنسان دعه وما جاء به.

فالوسيلة الثانية: هي الأخذ عن الثقات: اجعل رجال أسانيدك ثقات مأمونين، معروفين بالصدق والعدالة.

وهنا تأتي مشكلة.

ما معنى الثقات؟ بعض الناس لو وجد إنساناً صالحاً، مصلياً، متعبداً، ملتحياً، ملتزماً بالسنة، قال: هذا رجل صالح ظاهره العدالة.

لا! لا إذا كانت أموراً مهمة فلا تعتمد على مجرد ذلك، ولذلك قبل قليل ذكرت لكم كيف أن السلف كانوا يتقون الرواية عن بعض الصالحين، وذلك لعدم ثقتهم، لا لأنه صالح، لكنه ليس بثقة، مثلا: ذكر ابن عيينة أن شيخاً صالحاً كان بالكوفة يقول: كان عنده أربعة عشر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بها، قال: فزادت مع الوقت، زادت هذه الأحاديث حتى صارت أربعين، خمسين، ستين، وقال: فجاءه رجل قال: من أين لك هذه الأحاديث التي زادت؟ قال: هذا من رزق الله!! رجل مسكين يلقن أحاديث تدخل عليه، فيقبلها ويرويها، وهو صالح لكنه مغفل.

والناس -الصالحون وغير الصالحين:- ثلاثة أصناف: الصنف الأول: الكذابون: وهذا قد يكون فيه تعبد من جهة، لكنه متسرع في الكلام، وربما يكون عنده معصية أو كبيرة الكذب، لأنه معروف أن العبد قد يجتمع فيه نفاق وإيمان، قد يكون زاهداً في الدنيا، لكنه يكذب، قد يقع هذا، وقد يكون إنسان طالباً للعلم، ولكنه قد يكذب أيضا، وهذا -مع الأسف- موجود، وإن كان -بحمد الله- قليلاً، لكن الناس منهم الكذابون الذين يختلقون الكلام، والذي يكذب، ويختلق الكلام، وهذا كما قال الشاعر: لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة الصنف الثاني: مغفلون: وهؤلاء المغفلون لا يختلقون الكلام ويكْذِبُونه، لكنهم أصابتهم غفلة، فصاروا يروون عن كل من دب ودرج، يُلَقَّنُون الأحاديث فيصدقونها، وإذا رأوا إنساناً، قالوا: حدثنا ثقة، وهو ليس بثقة!! وقد يخدعهم كثير من الناس، وقد رأيت كثيراً من القصص، والأخبار يتداولها الوعاظ، وتشيع عند الناس ويقول بعضهم: حدثني ثقة، وإذا تثبتت وجدت أن هذا المتحدث كذاب كبير ! وقد وقفت بنفسي على حالات من هذا القبيل، اغتر بها بعض الدعاة والصالحين، من بعض الإخوة وصدقوها، لأن الذي تحدث بها شخص ظاهره التدين، وهو ملتحٍ، ومن الصالحين في الظاهر، لكنه يختلق الأحداث، ويروي الأباطيل والأكاذيب والموضوعات والأشياء التي فيها تهويل، وبعض الأشياء التي رواها عجز عقلي عن تصديقها؛ لأنها أشياء لا يدل عليها شرع، ولا عقل، وما ذكرت في التأريخ أنها حدثت، وهو يرويها وقع كذا، ووقع كذا، ووقع كذا، يقول: وقع أمس ووقع اليوم، فمن شدة كذب هذه الأشياء تأبَّى عقلي على تصديقها، وتبين بعد فترة أن هذا الرجل يختلق الكلام ويفتريه، ويُغَرَّ به بعض الصالحين الذين ينخدعون بمظهره ومن تاب، تاب الله عليه.

لكن المقصود أن من الناس كذابون، ومن الناس مغفلون يصدقون الكذابين، فإذا رأوا إنساناً ظاهره الصلاح قبلوا عنه كل ما قال، دون أن يتثبتوا أو يمسوه، أو يعرفوا إن كان هذا الرجل فعلاً يضبط النقل والقول، أم هو إنسان ليس كذلك.

ومنهم صنف ثالث: وهم المتعجلون: والمتعجلون هؤلاء ليسوا كذابين، ولكنهم قد يروون الأمور على غير ما هي، فمثلاً قد يسمع كلاماً ونظراً لأنه متعجل فهم بعض الكلام، أو سمع أوله ولم يسمعه كله، فصار ينقله! أو رأى شيئاً فظنه على غير ما هو عليه، مثلاً: إنسان رأى في الشارع اجتماعاً، ورأى سيارات المرور والشرط، فجاء وقال: إنه حدث في مكان كذا وكذا حادث تصادم، ولما ذهبت وجدت أنه ليس هناك حادث تصادم لماذا؟ ليس هذا الإنسان اختلق! لكن هو رأى الزحام، والتجمع، والسيارات، فظن أنه حادث سيارة، وكان في الواقع أن هذا لسبب آخر وليس صداماً، فهو تعجل في خطف الأشياء، فهو من الخطافين الذين يروون بعض الأشياء وينقلونها دون أن يتثبتوا منها، ومثل هؤلاء يجب عدم التعجل في الأخذ عنهم.

أذكر أنني شخصيا وقفت، وبلوت أشياء من هذا القبيل، خذوا على سبيل الأمثلة: قال لي إنسان مثلاً أنه في إذاعة كذا، وكذا أذيع ونقل قصة مؤداها كذا وكذا، وفي الواقع أن هذه القصة من الغريب جداً أن تذاع في تلك الإذاعة مهما كان هذا الأمر فيها غرابة، فأنا أعلم أن الذي حدثني ليس بكذاب، لكني عرفت أنه سمع إذاعة أخرى، فظنها الإذاعة التي يقول، وكان الخطأ منه في معرفة أي الإذاعات التي سمع منها هذا الكلام الخطير الذي نقله.

مثل آخر: شخص قال لك: إنه سمع في إذاعة ما مثلاً إنه هناك أناس يقرءون القرآن على الموسيقي! هذا أمر عظيم أن يقع في المسلمين؛ لأن الكفار لا يفعلونه فضلاً عن المسلمين، وإن كان وقع في إحدى الإذاعات مرة فهو من الأخطاء التي نادراً ما تقع، لكن هذا الإنسان يقول أنا سمعت! فتبين أن هذا الإنسان تتداخل عنده الموجات، فيسمع إذاعتين في وقت واحد، ويقع عنده اللبس بسبب ذلك.

فلا تظن أنه إذا كان الذي أمامك رجل ثقة، وصدوق، معناه أن كل ما يحدثك به صحيح، لا! حاول أن تتثبت، وتتأكد، وتتحرى، وخاصة إذا كان الأمر الذي يحدثك به فيه شيء من الغرابة، والنكارة والمخالفة للمألوف والمعتاد، فحينئذ يجب أن تتحرى، وتتثبت أكثرَ، وأكثرَ.

الأمر الثالث: أنا قلت لكم ثلاث نقاط في الوسائل: النقطة الأولي -التي ذكرت- هي الوقوف بنفسك على الشيء.

النقطة الثانية: ألا تأخذ إلا من الثقات الأثبات المتثبتين.

النقطة الثالثة: هي التوقف.

لم يتبين لك الأمر، توقف حتى يستبين لك، وإن كان شراً، فعليك أن تقول: هذا بهتان عظيم، وتنكره ما دام يتعلق بأخيك المسلم الذي تظن به الخير، حتى يثبت لك خلاف ذلك.

وواقع الناس في هذا الموضوع وفي غيره واقع محزن، كما قال الإمام أحمد : [[إنك في زمان قَلَّ أن ترى فيه شيئاً معتدلاً]].) [25]

كل يؤخذ عليه ومنه :

وقوله : (**نعم هناك مآخذ كثيره عليهم لكنها لا تعد من تلك الأمور التي تتصف بها تلك الجماعة التي همها وشغلها الشاغل الطعن في العالم الذي تكون له شهره بين الناس ويتتبعون عثراته ، ولا أظنك لم تعرف هذه الجماعه ، (اللبيب بالإشارة يفهم) ولولا الغيبه لذكرتك بمشائخ هؤلاء**) تعريض بأهل الجرح والتجرح المداخلة ! الذين يعرفهم القاصي والداني ، ولو أن الأمة سكتت عن بيان ضلالهم لتضخمت الفتنة على الأجيال القادمة ، فلابد من بيان حقيقة منهجهم التبديعي الذي لا منهج لهم سواه ، ولابد من بيان عوار طريقتهم التجريحية التي يبيتون ويصبحون عليها .

إن كل منهج وجماعة وحزب وحركة وجمعية وجامعة وكلية وهيئة ومؤسسة فيها خير وشر ، ولا يوجد على وجه الأرض شيئا من هذه المسميات أبدا كاملا مكملا لا نقص فيه ولا عيب ! ولكن ما مقدار هذا النقص والعيب ؟! وما كنهه ؟!

---

[25] من دروس الشيخ الدكتور سلمان العودة .

وإننا لا نبرىءأهل التبليغ وحركتهم من النقص ولكن النقص البشري الذي يعتري كل مسلم أو كل بشر ! وليس الكفر البواح والبدع المكفرة المفسقة التي يقولها المداخلة الفجرة ! ففرق شاسع بين ما نقصد وبين ما يقولون .

اتبع سهام العدو تعرف الحق :

وقوله : (**ثم إني أتعجب من هؤلاء الذين يفنون أقلامهم في التحذير من التبليغ وفي المقابل لم نسمع أو نقرأ منه التحذير من الحرب الصليبيه التي تقوم بها فرعون العصر أمريكا .. ولا يتحدثون عن المحن التي يتعرض لها إخواننا في فلسطين والعراق وغيره ..**) فقول صحيح وموافق للعقل السليم والواقع المعاصر .

فهؤلاء المداخلة وفرقهم وما تفرع منهم لا يوجد لهم مشاركة في علم يعتمد عليها ، ولا موقف من العلمانيين والليبراليين والمستشرقيين والمحتليين ، بل غاية مطالبهم وعملهم وجهدهم هو التصدي لكل محاولات الإصلاح والتغيير والدعوة !

لا تكاد تجد عالما من علماء المسلمين إلا وتكلموا فيه بالسلب ، ولا يخلوا عمل من أعمالهم من الغيبة والنميمة والكذب على خلق الله .

قال الشيخ عبد المحسن البدر ردا على المدخلي (وقريبٌ من بدعة امتحان الناس بالأشخاص ما حصل في هذا الزمان من افتتان فئة قليلة من أهل السنَّة بتجريح بعض إخوانهم من أهل السنة وتبديعهم، وما ترتَّب على ذلك من هجر وتقاطع بينهم وقطع لطريق الإفادة منهم، وذلك التجريح والتبديع منه ما يكون مبنيًّا على ظنٍّ ما ليس ببدعة بدعة، ومن أمثلة ذلك أنَّ الشيخين الجليلين عبد العزيز بن باز وابن عثيمين ـ رحمهما الله ـ قد أفتيا جماعة بدخولها في أمر رأيَا المصلحة في ذلك الدخول، ومِمَّن لم يُعجبهم ذلك المفتَى به تلك الفئة القليلة، فعابت تلك الجماعة بذلك، ولَم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل انتقل العيب إلى مَن يتعاون معها بإلقاء المحاضرات، ووصفه بأنَّه مُميِّع لمنهج السلف، مع أنَّ هذين الشيخين الجليلين كانا يُلقيان المحاضرات على تلك الجماعة عن طريق الهاتف.

ومن ذلك أيضاً حصول التحذير من حضور دروس شخص؛ لأنَّه لا يتكلَّم في فلان الفلاني أو الجماعة الفلانية، وقد تولَّى كبر ذلك شخص من تلاميذي بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية، تخرَّج منها عام (1395 ـ 1396هـ) ، وكان ترتيبه الرابع بعد المائة من دفعته البالغ عددهم (119) خرّيجاً، وهو غير معروف بالاشتغال بالعلم، ولا أعرف له دروساً علميَّة مسجَّلة، ولا مؤلَّفاً في العلم صغيراً ولا كبيراً، وجلُّ بضاعته التجريح والتبديع والتحذير من كثيرين من أهل السنَّة، لا يبلغ هذا الجارحُ كعبَ بعض مَن جرَحهم لكثرة نفعهم في دروسهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم، ولا ينتهي العجب إذا سمع عاقل شريطاً له يحوي تسجيلاً لمكالمة هاتفية **طويلة بين المدينة والجزائر، أكل فيها المسئول لحومَ كثير من أهل السنَّة، وأضاع فيها السائل مالَه بغير حقٍّ، وقد زاد عدد المسئول عنهم في هذا الشريط على ثلاثين شخصاً، فيهم الوزير والكبير والصغير، وفيهم فئة قليلة غير مأسوف عليهم، وقد نجا مِن هذا الشريط مَن لم يُسأل عنه فيه، وبعض الذين نجوا منه لم ينجوا من أشرطة أخرى له، حوتها شبكة المعلومات الإنترنت، والواجب عليه الإمساك عن أكل لحوم العلماء وطلبة العلم، والواجب على الشباب وطلاَّب العلم ألاَّ يلتفتوا إلى تلك التجريحات والتبديعات التي تضرُّ ولا تنفع، وأن يشتغلوا بالعلم النافع الذي يعود عليهم بالخير والعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة وقد قال الحافظ ابن عساكر ـ رحمه الله ـ في كتابه تبيين كذب المفتري (ص: 29) : "واعلم ـ يا أخي! وفَّقنا الله**

وإياك لمرضاته، وجعلنا مِمَّن يَخشاه ويتَّقيه حق تقاته ـ أنَّ لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة"، وقد أوردتُ في رسالتي "رفقاً أهل السنَّة بأهل السنَّة" جملة كبيرة من الآيات والأحاديث والآثار في حفظ اللسان من الوقيعة في أهل السنَّة، ولا سيما أهل العلم منهم، ومع ذلك لَم تُعجب هذا الجارح، ووصفها بأنَّها غير مؤهَّلة للنشر،

وحذَّر منها ومن نشرها، ولا شكَّ أنَّ مَن يقف على هذا الجرح ويطَّلع على الرسالة يجد أنَّ هذا الحكم في واد والرسالة في واد آخر، وأنَّ الأمر كما قال الشاعر:

قد تُنكر العينُ ضوء الشمس من رمَد ... ويُنكر الفمُ طعمَ الماء من سَقَمِ

وأمَّا قول التلميذ الجارح لرسالة "رفقاً أهل السنَّة بأهل السنَّة": "فمثلاً في كلام أنَّ منهج الشيخ عبد العزيز بن باز ومنهج الشيخ ابن عثيمين على خلاف منهج أهل السنَّة الآخرين، هذا خطأ لا شك، يعني لا يُكثرون الردود ويردون على المخالف، هذا لو صحَّ هو خلاف منهج أهل السنَّة والجماعة، وهو طعن في الشيخين في الحقيقة، وفي غيرهم مِمَّن يمكن أن يُقال عنه هذا الكلام!!! ".

فالجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أنَّه ليس في الرسالة أنَّ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ لا يكثر الردود، بل ردوده كثيرة، وقد جاء في الرسالة (ص: 51) : "أن يكون الردُّ برفق ولين ورغبة شديدة في سلامة المخطئ من الخطأ، حيث يكون الخطأ واضحاً جليًّا، وينبغي الرجوع إلى ردود الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ للاستفادة منها في الطريقة التي ينبغي أن يكون الردُّ عليها".

الوجه الثاني: أنَّني لَم أتعرَّض لذكر منهج الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في الردود؛ لأنِّي لا أعرف له مؤلَّفاً صغيراً أو كبيراً في الردود، وسألْتُ أحدَ تلاميذه الملازمين له عن ذلك، فأخبرني أنَّه لا يعلم له شيئاً من الردود، وذلك لا يقدح فيه؛ لأنَّه مشغول بتقرير العلم ونشره والتأليف.

الوجه الثالث: أنَّ منهج الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ يختلف عن منهج التلميذ الجارح ومَن يشبهه؛ لأنَّ منهج الشيخ يتَّسم بالرِّفق واللِّين والحرص على استفادة المنصوح والأخذ بيده إلى طريق السلامة، وأمَّا الجارحُ ومَن يشبهه فيتَّسمُ بالشدَّة والتنفير والتحذير، وكثيرون مِن الذين جرحهم في أشرطته كان يُثني عليهم الشيخ عبد العزيز ويدعو لهم ويحثُّهم على الدعوة وتعليم الناس، ويَحثُّ على الاستفادة منهم والأخذ عنهم.

والحاصلُ أنَّني لَم أنسب إلى الشيخ عبد العزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ عدم الردِّ على غيره، وأمَّا ابن عثيمين فلَم أتعرَّض له بذكر في قضيَّة الردود، وأنَّ ما ذكره الجارحُ غير مطابق لِمَا في الرسالة،

وهو من أوضح الأدلة على تخبُّطه وعدم تثبُّته، وإذا كان هذا منه في كلام مكتوب، فكيف يكون الحال فيما لا كتابة فيه ؟!) [26]

المداخلة تخصص الطعن في المسلمين فقط :

وقوله : (**بل لم نسمع لهم صوت في التحذير من أهل الباطل كالروافض بجميع طوائفهم ومن مخططاتهم**) صحيح ، لأنه كما قلنا سابقا إن هذه الجماعة المارقة الغالية في التبديع لا شغل لها سوى تجريح المصلحين بأغلظ الألفاظ ، ومع ذلك يحاولون تقريب العامة والدهماء ليكون لهم مستمع وتابع !

قال الشيخ عبد الرحمن السديس على منبر الحرم : (أمّة القرآن والسّنّة، مَن كتَمَ داءَه أسهَده وأضنَاه وأضجَره وعنّاه، وإنّ من الأدواء التي ينبغي أن تُشخَّصَ في عُنفوان الأسَى واللّوعةِ ما هو كائنٌ مِن وَحشة وتنافُر وجفاءٍ وتدابُر بلغ حدَّ التجريحِ والتّحذير والتسفيهِ والتّشهير مِن قِبَل أهلِ الملّة بَعضِهم بعضًا، ممّن سلكَ سبيلَ الحقّ عقيدةً وعبادة وسلوكًا، وممّن ينتسِبون إلى الخيرِ والدّعوة والغيرةِ على الحُرُمات، الحريصين على سلامةِ الأمّة من التعثُّر والانزلاق، الوَجِلين على وَحدة الصّفّ مِن التصدُّع والانشقاق.

وإنّ مِن المصائبِ الفادِحَة أن يتطاولَ بعض أهلِ الملّة الواحدةِ على مقاماتِ إخوانِهم مِن العلماءِ الأجلاّء والدّعاة النُّبَلاء، حطًّا مِن أقدارِهم ووقيعةً في أعراضِهم وإيضاعًا خِلالَهم ونزعًا للثقة والمرجعيّة منهم.

وإنّ الرّزيّة لتعظُم حين يكون ذلك على قصدِ الازدِراء والتّعيير والثَّلبِ والتّشهير عبرَ قنواتٍ سيّارة من صُحفٍ ومجلات وفضائيّات وشبكاتِ معلومات، بكلّ تَخَلٍّ عن التورُّع التأثُّم، يقول محذِّرًا ومتوعِّدًا: ((يا معشرَ مَن آمن بلسانِه ولم يدخلِ الإيمان قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عَوراتِهم، فإنّه من تتبّع عوراتِهم تتبّع الله عورتَه، ومن تتبّع الله عورتَه يفضحه ولَو في جوفِ بيتِه)) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذيّ(2)[2]، وقال الإمام أحمد رحمه الله: "الوقيعةُ

---

[26] الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها (ص: 63) ، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر

في أهلِ العِلم ـ ولا سيّما أكبارهم ـ مِن كبائِرِ الذنوب"، وقال مالك بن دينار: "كفى بالمرءِ شرًّا أن لا يكونَ صالحًا وهو يقَع في الصالحين"(3)[3].

فما بال أقوامٍ مِن أهلِ الملّة الواحِدة ـ هداهم الله ـ من تكون غايةُ دنياه وأكبرُ همِّه ومُناه تتبّعَ العثراتِ وتصيُّدَ الزّلاّت والنّفخَ في الهِنَاتِ الهَيّنات والتشهيرَ بها عبرَ المجالس والمنتديات؟! لا يفتؤون هَمزًا، ولا ينفكّون لمزًا، ولا يبرَحونَ غمزًا. ديدنُهم التشويش، ومطيّتُهم التحريش، وسجيّتُهم الإثارةُ والتهويش. قاموسُهم سُوءُ الظنّ، ومعاجِمُهم الأذَى والمنّ، يبادِرون بالاتّهام، ويستَعجِلون بالجفاء والاصطلام[27]، يكثِرون الوقيعةَ والعِتاب، ولا يتورّعون عن الشّتائم والسّباب. يطعَنون إخوانَهم فِي الخواصِر، ويصوِّبونَ سهامَهم تلقاءَ القفى. إذا رَأَوك في نعمةٍ حسَدوك، وإن توارَيتَ عنهم اغتابوك.

إن يسمَعوا هَفوةً طاروا بها فرحًا...وما علِموا مِن صالحٍ كتَموا

يعمَلون ليلَ نهارَ على الحطّ من الأقدار والنيلِ من الكفاءات وتَشويهِ صورةِ البُرآء الأخيارِ النّزهاء، يتحرّكون كالخفافيشِ في الظّلام، ويعمَلون خلفَ الكواليس، تنكّرت منهم الوجوه والقسمات، وتغيّرتِ البَسَمات، واصفرّت السُّبُحات. في الرّخاءِ أحبّة أخلاّء، وفي الشّدّة أعداءٌ ألدّاء، يستوي في ذلك الأقرباءُ والأصفِياء. لا يلتمِسون المعاذير، ويسعَون لإسقاطِ أهلِ الفضلِ والمشاهير، يبثّون عنهم الشائِعات، ويختلقون ضدَّهم الوِشايات، فسبحانَ ربّيَ العظيم، ألا يخافون الله ربَّ العالمين؟! إلى الله المشتَكى، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله العليّ العظيم.

بل يتحرّونَ لذلك بعضَ المواقِع العنكبوتيّة، بل سَمِّها الثعبانيّة الفتّاكة، زاعِمين بيانَ الحقّ والإصلاح، والواقعُ أنّهم مثلُ الذّباب يراعِي موضعَ العِلَل. ولا يبالون أن يكونَ جمعُهم من قالةِ السوء والمجاهيل، أو مِن ثنايا مؤلّفاتٍ لم يَطَأها قلمُ التّنقيح، ولم يخطَّها يراعُ النّسخ والتّوضيح.

وعلى إثْرِ تلك الأوهامِ والهفواتِ التي تقبَل التأويلَ والاغتفار في غَزيرِ الحَسَنات يكون الولاء والبراء والهجرُ والجفاء والوُدّ والعداء، عبرَ التصنيف والتعصُّب والتحيُّز والتحزّب.

ويُشغَل بذلك طلبةُ العلمِ المبتدِئون والمثقّفون والمصلِحون بلهَ العوامّ، ويتلقّفُها في كلّ الأصقاعِ الشانِئون والمغرِضون، وتهدَر ملكاتٌ وأوقات بين رادٍّ ومردودٍ عليه، وتُعقَد المجالس فريًا في

[27] الاصطلام: الاستئصال والإبادة.

الأعراضِ بكلماتٍ جارِحة وعِبارات مسفّة قاسيَةٍ وقذائفَ كأنّها شواظٌ من نار، تشِي بسوءِ الدِّخلةِ والمأرب، ضاربةً بعفّةِ اللّسان نزاهةَ النفسِ كلَّ مضرَب، كان الأولى فيها صرفَها شطرَ الفِرق المنحرِفة المناوِئة لأهلِ الإسلام الساعيَةِ في تقويضِ أمنِها وخَلخَلة صفِّها، وإنّي أعيذ الأصفياءَ وطلاّبَ الخير وشداتَه أن يتشبّهوا بصِفةِ فرقةٍ ضالّة حذّرنا منها المعصومُ فيما أخرَجَه أحمد والشّيخان: ((قومٌ يقرؤون القرآنَ، لا يجاوِز حناجرَهم، يمرقون من الإسلامِ كما يمرُق السّهم مِن الرميّة، يقتلون أهلَ الإسلام ويَدَعون أهلَ الأوثان))[28].

ومِن الوَمَضات اللّطيفةِ للقاضِي إياس بنِ معاوية الذي صارَ مثلاً في الفِطنة والذّكاء ما أوردَه الحافظ ابن كثير رحمه الله عن سفيان بن حسين قال: ذكرتُ رجلاً بسوءٍ عندَ إياس بن معاوية، فنظر في وجهي وقال: أغزوتَ الروم؟! قلت: لا، قال: السّندَ والهِند والتّرك؟! قلتُ: لا، قال: أفسَلِم منك الرومُ والسّند والهِندُ والتّرك ولم يسلَم منك أخوك المسلم؟! قال: فلم أعُد بعدَها أبدًا [29]. وقال ابن سيرين رحمه الله: "ظلمُك لأخيكَ أن تَذكرَ مِنه أسوأَ ما تعلَم وتكتُمَ خيرَه" [30]. وقال ابن المبارَك: "المؤمن يلتمِس المعاذيرَ، والمنافِق يتتبّع الزّلاّت"[31]. وقال آخر: "المسلم يستُر وينصَح، والمنافِق يهتِك ويفضَح"[32]. هذا في حقّ آحادِ المسلمين وعوامّهم، فكيفَ إذا كان مِن أهلِ العِلم والفضل والخير والسّبق والدعوةِ وقضى سَحابةَ عمره عالمًا محقّقًا أو داعيًا متألّقًا أو كان مِن ذوي الهيئات والمروآت؟! فإنّ إمساكَ اللّسان عنهم وصونَهم عن الرَّشَق والتوهين آكدُ وأوجب.

أنصارَ السنّة ودعاتَها، وفي سَتر الزّلّة وسدِّ البادِرةِ والخَلّة ما وَرَد عن عمَر رضي الله عنه أنّه قال: (لا تَظنّنّ بكلمةٍ صدَرَت من أخيكَ سوءًا وأنتَ تجِد لها في الخير محملاً)[33]. وعن سعيد بنِ المسيّب رحمه الله قال: "ليسَ مِن عالمٍ ولا شريف ولا ذي فضلٍ إلاّ وفيه عَيب، ولكن مَن كان فضلُه أكثرَ من نقصِه ذهبَ نقصُه لفضلِه"[34].

---

[28] صحيح البخاري: كتاب التوحيد (7432)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة (1064) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[29] أخرجه البيهقي في الشعب (314/5).

[30] انظر: التمهيد (22/23)، وصفة الصفوة (245/3).

[31] انظر: إحياء علوم الدين (177/2).

[32] انظر: جامع العلوم والحكم (ص82).

[33] أخرجه المحاملي في أماليه (460)، والبيهقي في الشعب (323/6-324).

[34] أخرجه الخطيب في الكفاية (ص79)، وانظر: التمهيد (170/11)، وصفة الصفوة (81/2).

ومِن الكلام الذهبيّ للإمام الذهبيّ في ترجمةِ الحافظ محمد بن نصرٍ قوله رحمه الله: "ولو أنّا كلّما أخطأ إمامٌ في اجتهادِه في آحادِ المسائِل خطأً مغفورًا له قُمنا عليه وبدّعناه وهجَرناه لَمَا سلِم معنَا ابن نصرٍ ولا ابن مَنده، ولا مَن هو أكبر منهما، والله هو هادِي الخَلق إلى الحقّ، وهو أرحمُ الرّاحمين، فنعوذ بالله من الهوَى والفَظاظة"[35].

وهُنا صرخةُ تحذير وتنبيهٍ وتنذير لأهلِ الإسلام أن كفانا جفاءً واختِلافًا، وحيّهلاً اعتِصامًا وتجرُّدًا وائتلافًا، ماذا دَهَانا ؟! عجيبٌ أمرُنا ذا الزّمانا،

مرادُ النّفوس أعلى مِن أن ...نتعادَى فيه أو نتفانَى

لوسائلِ الإعلام المؤتَمَنة على الأفكار والأقلامِ أن تتّقيَ الله في صِدق الكلمةِ وانتقاء النشر وعُمق الطّرح، فليسَ كلّ مَن خطّ سوادًا في بياض نُشِر له، فوضَعَ وخبَّ في أعراضِ الفضلاء والعُلماء والنّبلاء، وليس هو مِن طرازِهم ولا مِن علمِهم في قبيلٍ ولا دبير، حتّى غدَا الثّلب والسّلب مَركبًا وطيئًا وسَابلةً لمن تعرِف وتُنكِر.

ألا كلاّ ثمّ كلاّ للتّعقُّبات والرّدودِ الرّعناء التي تثيرُ كوامنَ النّفوس والشّحناء، وتورِي زِنادَ الكوامِن والبغضاء، ورحِم الله امرأً عرَف قدرَ العلماءِ وقدرَ نفسِه، وتابَ ممّا خطَّته يده في طِرسِه[36]، وليَكِل شأنَ النّقد والتّقويم إلى مَن رسَخت في العِلم أقدامُهم، وأتقَنوا ضوابطَ النّقد والحِوار، وقاموا على آدابِ الخلافِ وقواعدِه خيرَ قِيام، وهَل يملِك ميزانَ الاعتدالِ في نقدِ المنهَج والرّجال إلاّ العلماء الأفذاذُ الذين تُنَاخُ بعِلمِهم الرّحال وتُحدَى بهم المطايا والآمال؟! يقول الإمام الذهبيّ: "الكلامُ في العلماءِ مفتقِر إلى العدلِ والورَع"[37]، ألا ما أحوجَه في زمنِنا هذا إلى لجانٍ متخصِّصةٍ وهيئاتٍ عاليَة.) [38]

---

35 سير أعلام النبلاء (40/14).

36 الطرس: الصحيفة.

37 سير أعلام النبلاء (448/8).

38 موسوعة خطب المنبر (ص: 2934) الشيخ عبد الرحمن السديس إمام الحرم المكي .

كبار العلماء الثقات كلهم يثنون على التبليغ :

وأما قوله : (**بل إني سمعت كلاما من الشيخ العلامه بن جبرين-حفظه الله- بنفسه يثني على التبليغ (في السعوديه)** فهذا صحيح ، لأن الشيخ عبدالرحمن بن جبرين رحمه الله تعالى أثني ثناءا بالغا على أهل التبليغ والدعوة ، وهم من العلماء الثقات الذين يشهدون بما يرون ولا يسلمون آذانهم للوشاة الكذبة ، وأقر في فتواه هذه المنشورة على شبكة الإنترنت قبيل وفاته بأشهر قليلة بالصوت والصورة أن الشيخ بن باز رحمه الله تعالى كان يثني على أهل التبليغ ويؤيدهم كما كان شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم تماما إلى وفاته ، وقد مات كلا الشيخين على هذا النهج ، ولا يصح كل ما يقال عنهما بأنهما تراجعا أو غيرا كلامهما في أهل التبليغ .

وغن كنت تريد التثبت من قضية كهذه يكفي أن تبحث بنفسك عنها وستجدها في مظانها .

انظر ماذا ترى :

وأما قوله : (**فالإنصاف الإنصاف و العدل العدل فلا يقارن التبليغ في السعوديه بالتبليغ في باكستان والهند.**) فهو حق في طلب الانصاف لإن الإنصاف اليوم عزيز ، وأما الوقيعة في أهل التبليغ في الهند والباكستان بحجة أنهم أعاجم فهذا لا يجوز ولا يصح ، لأننا تقرر لدينا أن أهل التبليغ عامة عقيدتهم صحيحة موافقة للعقيدة أهل السنة والجماعة ، وأما الأخطاء التي تقع من عرب أو عجم فهي مردودة ! وهي قليلة بحمد الله تعالى ومنته ، فلا يسلم لمن يقول هناك فرق بين العربوالعجم ، بل نقول إن تبليغ العرب والعجم واحد وهو ما نراه بأعيننا في بلادنا هنا وليس ما تزعمونه أنتم عن تبليغ العجم أيها الكذبة .

إن لم تقنعوا بما نقول لكم فارحلوا مرة في حياتكم وتيقنوا مما نقول لكم وانقلوا لنا تسجيلات لما تسمعون ولا أظنكم تعجزون عن فعل مثل هذا ، ولن تعجزوا عن تصوير المخالفات والطواف بالقبور والتمسح بالأضرحة والسجود تحت أقدام الأكابر كما تزعمون ! لن تغلبوا على ذلك أبدا ! أما إذا لم تفعلوا فأنتم الكذبة في قولكم .

هلا سمعوا منا ؟! :

وقوله : (**وأنا أنصح ممدوح وغيره ممن يتكلمون في التبليغ الموجودين في السعوديه أن يأتوا إليهم ويجالسونهم ويسمعون كلامهم ويناقشونهم قبل الحكم عليهم بأقوال آخرين .. ثم يحكمون عليهم بما رأوه. والله من وراء القصد.**) فهو من قبيل ما نقول نحن أيضا ، لأننا طالما طالبناهم بأن يأتوا إلى مجالسنا ويسمعوا منا ما نقول ، فإن وجدوا منكرا أنكروه وإن وجدوا عبادة لغير الله تعالى أنكروها وإن وجدوا شركا غيروه ! هذا مقتضى العلم والحكمة ، وإن وجدوا في مجالسنا كلام التوحيد والسنة والاتباع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ناصرونا وآزرونا بالفعل والقول ! إن فعلوا ذلك فقد أثبتوا بالحقيقة أنهم يريدون الحق ويسعون له ، وإن تخلفوا عنه فقد أثبتوا حقا أنهم كذبة لا يريدون إلا الفرقة والتشنيع على المسلمين والدعاة المخلصين .

وفي الختام :

بعد هذا البَسْط لمنهج أهل التبليغ والرد على أهل الغلو، وبه تمَّ المُراد، أُذَكِّرُ في الختام بأهمِّية سلوك طريق الإنصاف وعدم الاغترارُ بأهل البدَع مع الذَّبِّ المُوافقِ للشَّرْع ، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم مخاطبا رسوله الأمين محمدا - صلى الله عليه وسلم -: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[39]. ويقول أيضا: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}[40]. ويقول جل شأنه: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[41]. إذا الكتاب الحكيم يقضي على كل خلاف، ويحكم الحكم الفصل في كل نزاع فلنلتمس بين نصوصه الحكم في هذه القضية التي شغلت الأذهان في كل زمان ومكان في عصرنا الحاضر.

---

[39] (سورة النحل)

[40] (سورة النساء)

[41] (سورة الشورى)

وها نحن قد بينَّا للعامة والخاصة حقيقة جهد التبليغ والدعوة وأنهم برءاء مما ينسب إليهم من أهل الجرح والتجريح غلاة التبديع ليعلموا الحق فيحجموا عن الترويج للباطل ، ولسنا نجبر أحدا أن يسير على منهج التبليغ والدعوة الحركي الاجتهادي لأنه في الأول والأخير اجتهادي ليناسب من يتوافق معه هذا الترتيب .

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتن، وأن يحيينا على الإسلام والسنن، وأن يجعلنا ممن يتبعون الرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد المات برحمته وفضله، آمين.

وهذا آخر ما قصدناه من إرشاد وأسميناه (إرشَادَ الحَـــــــــائِرِ بِتَصدِيقِ شَهَـــــادَةِ الزَّائِرِ) ، والحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

وكتبه

أبو إلياس طه بن إبراهيم القلموشي المصري

الجمعة 5 يناير 2023 - 24 جمادى الآخر 1445 هـ

Contents